

تقرير

اتفاق أستانة (4) على أي أرض سيهبط إعداد الباحثة د. نجوى الصافي

مركز بحوث للدراسات

2017

المقدمة

منذ بداية هذه السنة وفشل الهدنة التي حاولت روسيا تكريسها بعد معركة حلب كانت الأجواء السياسية والعسكرية التي تحيط بالقضية السورية كلها تشي بأن خطة تحاك وطبخة تطبخ للشعب السوري ولثورته تحاول كل الأطراف وضع اصبع فيها والمشاركة في صناعتها وظهر اتفاق الأستانة (٤) والذي سمي (اتفاق مناطق خفض التصعيد) بضمانة (روسية إيرانية تركية) هذه المناطق التي صدرت فيها خرائط من وزارة الدفاع الروسية والتي حددت حدودها الجغرافية ومناطق الفصل فيها وقد وقع على هذا الاتفاق سبعة وعشرون فصيلاً من المعارضة المسلحة وقد جاء بمباركة أمريكية وسعودية كما قالت روسيا ولن نكرر ما قيل حول هذا الاتفاق وسنكتفي بذكر بعض الملاحظات التي يجب الانتباه لها ودراسة مدلولاتها في هذا الاتفاق:

أولاً: اسم هذا الاتفاق المبتكر والغريب والذي جاء مراوغاً زئبقياً لا يمسك له طرف وليس له قوانين معتمدة ومعروفة في الأعراف الدولية فهو ليس مناطق آمنة ولا عازلة ولا هادئة ولا منزوعة السلاح.

ثانياً: الأطراف الضامنة هم أعداء الثورة والمعارضة وليس منهم غير تركيا وهي الحلقة الأضعف في المعادلة والمغلولة اليد في سوريا والمستهدفة من أغلب الأطراف.

ثالثاً: الخرائط التي وزعت تستثني الكثير من المناطق التي هي الآن بيد الثوار بما يعني أنها ستترك لمصيرها مع النظام وحلفائه ويستفرد بها والاتفاق يعتبرها بحكم الساقطة بيد النظام وهذه المناطق هي القابون وحي جوبر وحي برزة وحي تشرين ومناطق القلمون مثل سهل رنكوس وجرود فليطة وغيرها.

رابعاً: لم يأت على أي ذكر للفصائل الشيعية وضرورة خروجها من سوريا بينما ذكر في الوثيقة محاربة تنظيم الدولة وجبهة النصرة في داخل وخارج مناطق التصعيد مما يفتح الباب على مصراعيه لاستمرار الأعمال العسكرية من قبل النظام والاستهداف للثوار في أي وقت وتحت هذا المسمى.

خامساً: موضوع نقاط الفصل التي ستغلف وتحيط بهذه المناطق وستكون مكونة من قوات مختلطة من الضامنين الثلاثة والتي ستمنع خروج الثوار من المناطق واتصالهم بالمناطق الأخرى بالإضافة إلى أنها ستكون كالجزر المعزولة المحاطة بالعدو المراقبة بشكل حثيث.

سادساً: إن هذا الاتفاق يعطي النظام والمليشيات الشيعية فرصة لالتقاط الأنفاس واستعادة مناطق شاسعة من داعش تؤدي إلى استعادته لعافيته وقوته وقد رصدت بعض تحريك قوات لجيش النظام من القلمون باتجاه دير الزور في خطوة كما تبدو لفك الحصار عن مطار دير الزور.

سابعاً: لم يذكر أي شيء عن المعتقلين وتبادل الأسرى.

إن هذه النقاط وغيرها في هذا الاتفاق وغيرها في التفاصيل التي لم تظهر بعد والسؤال الذي يطرح هنا ما موقف كل من الأطراف المعنية بالقضية السورية وماذا سيحقق لها هذا الاتفاق.

أولاً: الموقف الأمريكي:

حاولت أمريكا أن تقف على مسافة قريبة من الاتفاق وضبابية ليست واضحة تماماً رغم أن كل المعطيات تشير أنها الرأس المدير فيه فقد لوحت الإدارة الأمريكية سابقاً بموضوع المناطق الأربعة الأمانة التي تمثل رؤيتها للحل في سوريا فالاستراتيجية الأمريكية التي بدا للبعض أنها قد تغيرت تجاه سوريا من السلب إلى الإيجاب تماماً أتوقع أن الصواب قد جانهم في هذا التقدير وقد تأكد هذا في وثيقة الاستراتيجية الأمريكية الجديدة بما يوضح أن سياسة ترامب لا تبتعد كثيراً عن من سبقه ولكن عدلت بشكل بسيط لتظهر بنكهة ترامبية استعراضية تختلف بالشكل لكنها لا تختلف كثيراً بالمضمون وإن هذا التغيير الطفيف لا يؤدي إلى انحراف كبير عن مسارها السابق من عدم التدخل والتورط في سوريا واستخدام الشركاء المحليين أو الحلفاء في تنفيذ سياسة الولايات المتحدة على الأرض فلا ضربة الشعيرات المسرحية ولا التدخل البري البسيط الرمزي في الشمال يعطي انطباعاً بتغير الاستراتيجية الأمريكية وهذا الاتفاق يؤكد على هذا التوجه فما زالت أمريكا توكل روسيا بالحل وتعطيها الفرصة تلو الفرصة للتجربة وهي تنتظر النتائج عن بعد لتحفظ لنفسها خط التراجع في حالة الفشل لكي تتبنى حلاً آخر.

ما تريده أمريكا من هذا الاتفاق:

أولاً - أمن إسرائيل الذي ضمنه الاتفاق بمنطقة الجنوب التي ستحيط بها قوات عزل لا تشارك فيها تركيا ولا إيران فإسرائيل لا تريدهما على حدودها ولذلك جاء الحديث عن احتمال مشاركة الأردن في قوات العزل في المنطقة الجنوبية.

ثانياً - تريد نصراً مدوياً على داعش وستسعى إليه الإدارة الأمريكية بكل ما أوتيت لتعلي رصيدها الجماهيري ولتغير النظرة الشعبية إليها في الداخل الأمريكي وليكون على غرار النصر الذي حققه أوباما بالقضاء على بن لادن. وهذا ما ستعمل أمريكا على تجييش كل الفاعلين على الأرض في سوريا وتوجيههم إلى تحقيقه لها.

ثالثاً - تكريس توازنات عسكرية على الأرض تضعف الأطراف الفاعلة على الأرض وتبقيها في حالة حرب وضعف دون انتصار أحد فمثلاً الغوطة وجيش الإسلام في مقابل إيران في دمشق وروسيا وتركيا في الشمال بالإضافة إلى تقوية الخنجر الكردي الذي زرعه في خاصرة تركيا والمعارضة والذي ستخذه كشريك في قتال داعش بدلاً من تركيا.

١١ ثانياً: الموقف الروسي:

أولاً- روسيا تريد الحفاظ على مكتسباتها وتهدئة الوضع لكي تلتقط أنفاسها وتوقف النزيف الاقتصادي الضخم الذي تسكبه في المحرقة السورية ولا تريد أن يستمر استنزافها واستهدافها من قبل الثوار فتريد أن تحبس الفصائل في أقفاص تضمن عدم خروجهم منها وتعرضهم لها ولو على المدى القريب لحين ترتيب أوراقها ومن ثم الإجهاز عليهم من جديد.

ثانياً- تريد روسيا أن يكون لها دورا فاعلا في المنطقة كدولة كبيرة ومسيطرة ولها اليد الطولى وأن تستثمر مكاسبها العسكرية للمشاركة الفاعلة في رسم استراتيجية مؤثرة وللحصول على شراكات حقيقية في منطقة الطرق الأوسط.

ثالثاً- رغم أن إيران تعتبر شريك وحليف لروسيا في روسيا ولكن هذا الاتفاق والذي جاء بمشاركة وتخطيط أمريكي ولو ضمنى وغير معلن فهو سيعطي روسيا فرصة في تحجيم دور إيران في سوريا ولجم أطماعها أو أحلامها التي ليس لها حدود ويقوي موقفها.

١٢ ثالثاً: الموقف الإيراني:

الجديد في هذا الاتفاق أنه تم الاعتراف بإيران كأحد الضامنين الثلاثة للاتفاق وهذا يثبت دورها في الساحة السورية سياسياً كما عملت جاهدة على تثبيتته ديموغرافياً وعسكرياً ونجحت في ربط نفسها وجودياً مع النظام منذ بداية الثورة في ظل تصاعد النبرة الأمريكية ضدها ومحاصرتها لها إعلامياً على الأقل والضربات الإسرائيلية المتكررة لها والمؤثرة على مواقعها وشعورها بأن روسيا تعمل أيضاً على إزاحتها من المشهد أو على الأقل تحجيم دورها وتقليصه وقد سربت بعض الأخبار من غرف المفاوضات في أستانة أن وعوداً روسية أعطيت للثوار بالعمل على سحب الميليشيات الشيعية التابعة لإيران من سوريا ونعتقد هذه الوعود فيها بعض الصدق إذ أنها تحقق مصلحة روسية أمريكية تركية مشتركة وممكنة التنفيذ إلى حد ما وقد تحد إيران من انتشارها على الجغرافية السورية ولكنها لن تتخلى عن نقاط التماس مع لبنان وفي المناطق التي يتواجد فيها أنصار النظام وأعوانه وحتى ولو سقط النظام سيبقى الوجود الإيراني في هذه المناطق بحجج متعددة ولن يقتلع بسهولة وستحاول الهيمنة على الحياة السياسية والمدنية في مناطق النظام حتى لو تغير رأس النظام .

١٣ رابعاً: الموقف التركي:

ما سيحققه هذا الاتفاق لتركيا باختصار أنه:

أولاً: سيعمل على تبريد النيران التي تحيط بها من كل جانب منذ قيام الثورة السورية وكف يد تنظيم الدولة عنها والدخول في تسوية مع روسيا وأمريكا لحفظ أمنها وحدودها من الخطر الكردي.

وثانياً: حل موضوع اللاجئين.

وثالثاً: استخدام كونها هي الدولة القريبة من الثوار والضامنة لهم كورقة ضاغطة تستطيع من خلالها حماية نفسها من الاستهداف الحثيث من قبل روسيا وأمريكا والغرب ولكنها مع ذلك هي الحلقة الأضعف في هذا الاتفاق وليس أمامها الكثير من الخيارات.

قد يحقق هذا الاتفاق مصالح لكل هذه الدول مجتمعة وبنسب متفاوتة ولكنه للأسف وكما هو واضح لكل ذي بصيرة إن مطر هذا الاتفاق لن ينزل على أرض الشعب السوري ولن يروي عطشه ولن يكون بلسماً لجراحه الغائرة ولن يخفف آلامه وأحزانه ومآسيه....

اتفاق الأستانة (٤) إلى أين؟

كما يبدو هذا الاتفاق الذي دخل يومه الثالث والذي أُعد لسوريا من قبل الأطراف الدولية الفاعلة في القضية السورية صامد إلى الآن وقد تشربه سوريا شاءت أم أبت فقد استطاعت روسيا وبهذه الحرب الجنونية والقصف الهمجى على المدنيين إضعاف الحاضنة الشعبية للثوار وإنهاكها وهي الآن لم تعد تأمل إلا الحفاظ على بقية الحياة فيها فبعد أن تذوق الهدوء والأمان وتوقف القصف والقتل سوف تضغط على المعارضة والفصائل للقبول بأي حل يديم هذا الأمن والسلم ولو كانت على حساب المصلحة الوطنية على المدى البعيد هذا بالإضافة إلى أن هذا الاتفاق قد أُلزم به الثوار والنظام إلزاماً وليس لديهم رفاهية القبول أو الرفض، وقد صرح بهذا صراحة مسؤول كازخستاني وهو (ايداريك توماتوف) حيث قال: إذا ما توصلت الدول الضامنة لاتفاق الهدنة في سوريا (روسيا وتركيا وإيران) إلى توافق بشأن الوثيقة الروسية ووقعت عليها فتصبح هذه المذكرة ملزمة وسيكون تنفيذها على دمشق والمعارضة تحصيل حاصل (وكما نتوقع أن هذا الاتفاق نتيجة لاتفاق روسي أمريكي إسرائيلي) سابق وغير معلن وقد حددت له ملامحه ومحاوره.

ومن المتوقع أن يكون أمام هذا الاتفاق واحد من سيناريوهان لا ثالث لهما:

أولاً: سيناريو النجاح والصمود:

وفي هذه الحال ستعزل المعارضة في المناطق المحددة بالاتفاق ويطلب من الدول الحدودية تركيا والأردن تسيير أمورها المدنية والأمنية حيث أن هذه الدول هي المنفذ الوحيد لهذه المناطق حيث أنها مناطق شحيحة بالثروات وداخلية وسوف تكون عرضة للاقتتال الداخلي بين الفصائل بسبب وجود جبهة النصر والعناصر الجهادية داخلها واستهدافها وستتفرغ روسيا والنظام للحصول على المناطق الشرقية ذات المخزون النفطي والمائي لتضمها لمناطق النظام وقد يتبع هذا الاتفاق خطوات لمرحلة انتقالية قد يستغنى فيها عن رأس النظام وتشكل حكومة خاضعة للغرب وإسرائيل وضامنة لمصالحهم وقريبة منهم على غرار حكومة فتح ويكون للمكون العلوي والشيعي والأقليات النصيب الأوفر فيها، وتكرس الجهود للقضاء على ما تبقى من فصائل الثوار في المناطق المعزولة التي ستمزقها الاضطرابات والحروب إلى أن تضطر بالنهاية هذه المناطق للاندماج مع مناطق النظام والخضوع لها والدوبان فيها.

السؤال هنا: إذا تحقق هذا السيناريو ماذا يتبقى المعارضة والثوار ليفعلوه وماذا لديهم من

خيارات؟

من خلال استلهاهم التجارب التاريخية للتعامل مع هذه الحالات التي أحبطت فيها حركات التحرر والثورات نجد بعض النقاط التي يمكن للثوار أن يسترشدو بها في هذه المرحلة الصعبة وهي:

أولاً: تقوية الشعور الوطني لدى الحاضنة الشعبية وبناء وعي جماهيري بالظلم الذي وقع عليهم كشعب وقضية وبضرورة الاستمرار ونبذ اليأس والضعف.

ثانياً: استلهام التجارب التاريخية لحركات التحرر على مدى التاريخ والتعلم من طرقها وأساليبها في الاستمرار والحفاظ على الزخم وطول النفس.

ثالثاً: سحب السلاح والمقاتلين من قلب المدن والتجمعات السكانية إلى الجرود والجبال وتغيير التشكيلات العسكرية بالتخفيف من العناصر الضعيفة غير المفيدة والاعتماد على العناصر الشديدة القوة واللبأس والتميزة بالوعي العالي بعدالة القضية والإخلاص لها وإعداد هذه العناصر نفسياً وجسدياً لمرحلة طويلة من المقاومة المسلحة لكل أشكال الاحتلال في سوريا والتي ستؤدي على المدى البعيد إلى استنزافهم وضرب مصالحهم وإضعاف قدراتهم مهما بلغت من قوة وتؤدي بالنهاية إلى تحقيق أهداف هذه الثورة المباركة.

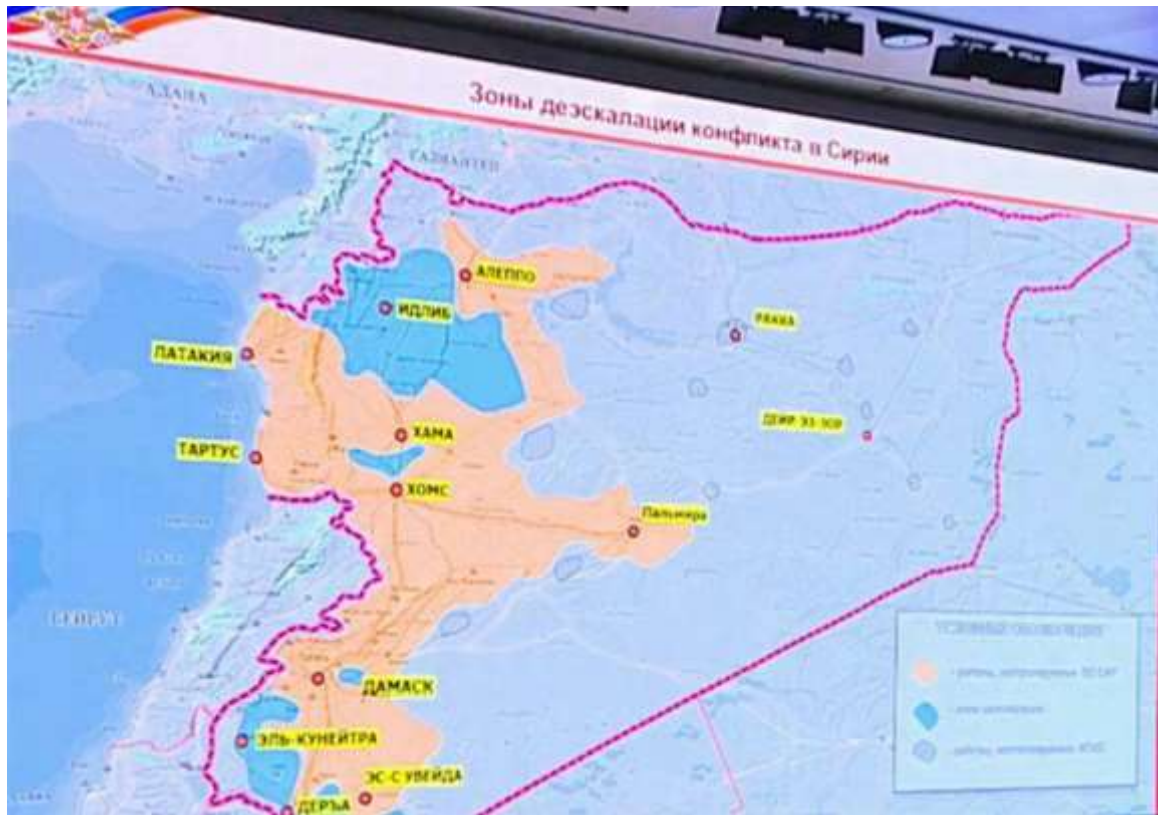
رابعاً: المطلوب من المعارضة المدنية التركيز على الاهتمام بمصالح الشعب المنهك والمتعب وترميم جراحه وذلك بالاعتماد على شبكة اتصالات طيبة مع الدول المتعاطفة مع قضية الشعب السوري وأيضاً التعاون بإيجابية مع الدول المجاورة المكلفة بالإشراف على هذه المناطق وذلك لتفعيل الخدمة المدنية والمجتمعية لتخفيف المعاناة عن الشعب على المستوى الصحي والنفسي والمعاشي.

خامساً: على الأحزاب والتشكيلات السياسية الثورية الدفع بعناصرها للمشاركة بأي عملية سياسية حتى لو كانت في مناطق النظام على أن تكون هذه العناصر غير مكشوفة ومحروقة شعبياً.

ثانياً : السيناريو الثاني:

وهو أن يكون هذا الاتفاق لم ينضج بعد وغير متفق عليه دولياً وخاصة من قبل أمريكا وإسرائيل والغرب وقد يكون لعبة أمريكية لجر روسيا وتركيا وإيران إلى خانة التعجيز والفشل لفرض خطة أخرى قد تحقق لها مصالح أكبر، وهنا سيكون مصير هذا الاتفاق مصير الهدن السابقة، وتعود الأمور إلى سابق عهدها، وإلى مزيد من التفجر والانفلات.

الخرائط التي أصدرتها وزارة الدفاع الروسية توضح فيها " المناطق الأربعة لخفض التصعيد "





المصادر

- <https://l.facebook.com/>
<http://www.aljazeera.net/news/arabic/2017/4/19/>
<http://www.radioalkul.com/p109144/>
<http://www.radioalkul.com/p108321/>
<http://www.radioalkul.com/p107844/>
<http://www.almersad.net/>
<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2017/1/25/>
<https://arabic.cnn.com/middleeast/2017/02/08/erdogan-trump-call-syria-safe-zones>
<http://www.aljazeera.net/news/arabic/2017/5/2/>
<http://www.aljazeera.net/news/arabic/2017/5/3/>
<http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2017/4/2/>